

عالمية اللغة العربية

د. سعيد عكاشة

جامعة سيدي بلعباس

أصبحت اللغة العربية، اللغة العالمية الأولى في مختلف العلوم والفنون، في عصر ازدهار الحضارة العربية الإسلامية، منذ القرن الثالث الهجري، وإن عالميتها ظهرت واضحة عندما كانت البعثات العلمية في مختلف الأقطار الأوروبية تؤم مراكز الإشعاع الثقافي، في قرطبة، وإشبيلية، وغرناطة، وفارس وبيجاية، وتلمسان، والقيروان، وغيرها من مراكز العلم، للدراسة في مختلف العلوم والفنون باللغة العربية؛ لغة التدريس والبحث، ولغة المصادر العلمية.

ولو نظرنا إلى مسار عالميتها في قارات العالم القديم، في أوروبا، وروسيا، وإفريقيا، نرى أنها دخلت إلى أوروبا من خلال جسور الاتصال، كان أهمها إسبانيا (الأندلس)، وصقلية. ونشأت مراكز مختصة لدراسة اللغة العربية وتعليمها، في مراكز علمية في باريس، وأكسفورد، وروما، وقد تركت آثارها الواضحة في مختلف الجوانب اللغوية والحضارية في العالم، حتى العصر الحاضر، فكثير من المصطلحات وجدت طريقها إلى اللغة الانجليزية. وإن دخول الأرقام العربية المغربية إلى أوروبا، يعد إسهاماً علمياً أصيلاً في النهضة الأوروبية الحديثة.

فاللغة العربية والحروف العربية، باتت تحتل في نظر جماهير هذه الشعوب مكانة الاحترام والقداسة، فأصبحت هذه العالمية تنفرد بها هذه اللغة من بين جميع لغات الأمم الأخرى، حيث أصبحت لغة الثقافة، والإدارة، والتجارة، والمراسلات، ووسيلة الاتصالات الدولية⁽¹⁾.

وفي مقال نشره فرجسون، بدائرة المعارف البريطانية، عن اللغة العربية قال: "إن اللغة العربية سواء بالنسبة إلى عدد الناطقين بها، أو إلى مدى تأثيرها، تعتبر إلى حد بعيد أعظم اللغات السامية جمعاء، كما ينبغي أن ينظر إليها كإحدى اللغات العظمى في عالم اليوم" (C.Arabic language encyclopedie) britanico.2/1971/p.p(182-183.Ferguson).

ويتجلى صدق هذه العبارة، إذا نظرنا إليها استراتيجياً، ودينياً، وتاريخياً، ولغوياً، أما لغوياً، فإنها بما تتمتع به من مزايا، وما تنفرد به من خصائص، سواء في المفردات أو في

التراكيب، أو في القدرة على التعبير عن المعاني، واستيفائها، أو من حيث تأثيرها في لغات أخرى كثيرة، تستحق بكل المعايير أن تكون لغة عظيمة تستحق على تعليمها وتعلمها.

قال رافائيليتي في كتابه عن اللغة: "إنني أشهد من خبرتي الذاتية، أنه ليس أثنى من بين اللغات التي أعرفها، لغة تكاد تقرب من العربية، سواء في طاقتها البيانية، أو في قدرتها على أن تخترق مستويات الفهم والإدراك، وأن تنفذ بشكل مباشر إلى المشاعر والأحاسيس، تاركة أعمق الأثر فيها، وفي هذا الصدد فليس للعربية أن تقارن إلا بالموسيقى". (R:the arab, atai). (1976, mind N.Y. charles scribner-sons)^[2]

يقول ابن تيمية شيخ الإسلام: "إن اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا باللغة العربية، وما لا يتم الواجب إليه به فهو واجب" (مجلة الأمة 6- ص 74)^[3].

إذاً لموقع اللغة العربية في التعليم أهمية كبيرة، فاختيار محتوى مناهجها في مراحل التعليم العام، وتوزيعه على الفروع في كل مرحلة، ووضع الأهداف والتوجيهات الخاصة به، لذلك كله دلالات متعددة: منها ما يتصل بالقيم والمثل التي تريد الدولة أن تنشئ أبنائها عليها، ومنها ما يتصل بفلسفة التربية فيها، لأنها إنما تستمدّها من هذه القيم والمثل، ثم ما يتصل بطبيعة المادة، وما يمكن أن تسهم به في بناء الحياة الفردية والاجتماعية بالدولة^[4].

وهكذا وبسبب انتشارها، وعالميتها، وخصوصيتها، قرّرت الجمعية العامة للأمم المتحدة في جلستها العامة رقم (2006)، بتاريخ 18 كانون الأول/ديسمبر عام 1973 ما يأتي: "إدخال اللغة العربية ضمن اللغات الرسمية، لغات العمل المقررة في الجمعية العامة، ولجانها الرئيسية".

إذاً لا يخفى علينا أنّ هذا النسيج الإنساني لعالمية اللغة العربية، جاء من خصائصها الذاتية، ومن ترابطها الأبدي بالقرآن الكريم، وحملها الدعوة الإسلامية إلى شعوب العالم كافة، دون تمييز في الجنس أو اللون، أو اللغة^[5].

اللغة العربية وتحديات التطور التكنولوجي

إن إتباع الأساليب الجافة في تعليم اللغة يؤدي إلى نضور الناشئة^[6]. وفي عصرنا، عصر العلم، والتقنية والمعلوماتية أضحت اللغة هي الوجود ذاته. وقد أصبح هذا الوجود مرتبطاً بنقل الوجود اللغوي على الشبكة ♦ (الأنترنت). وقديماً قال سقراط لجليسه: (تكلم حتى أراك) أما اليوم فالشعار هو: (تجاوز عن بعد حتى يراك الآخرون، وتراهم، ومن ثم ترى ذاتك

أنت وهي بعيدة عنك، أو لصيقة القرب منك، في عصر بات فيه سؤال الهوية: من أنا؟ ومن نحن؟ مطروحاً بشدة وعلى أوسع نطاق^[7].

لذلك لابد من الاعتراف بحاجتنا الماسة والملحة لنهضة لغوية شاملة، قادرة على تلبية مطالب، ومقتضيات العصر، شريطة أن لا يلقي ذلك على عاتق اللغويين فقط، بل لابد من وجود التقنيين، والفنيين، في مجال الحواسيب، والعلماء بشتى التخصصات، والاقتصاديين، والسياسيين الأكاديميين، والمشتغلين في مجالات الكتابة الإبداعية إلى جانبهم، للوصول إلى صيغ، ومصطلحات، ومفردات عربية، سليمة، دقيقة، علمية وعملية أيضاً، والعمل على تقريب الحاسوب، وليس الترجمة العربية فقط، ورعاية عباقرتنا الشباب، الذين لديهم إمكانات مذهلة في فهم التقنية، التي بين أيدينا، ولهم تجاربهم الهامة في عوالمها^[8]. باستخدام التقنية في مخابر، وأدوات، وتجهيزات، وحواسيب تستثير الدافعية لدى المتعلمين، فيقبلون على المادة بكل نفس راضية، ويجدون متعة في تعلم اللغة.

كما أنّ إغناء المكتبات بالمصادر، والكتب، والمجلات المتنوعة، التي ترضي الأذواق والاهتمامات والميول وتلبي الحاجات، يؤدي إلى جذب المتعلمين وشدّ اهتمامهم.

من هنا نجد بأنه لابد من تطوير تكنولوجيا المعلومات لصالح اللغة العربية، نظراً لأن هذه التكنولوجيا تؤثر على الطفل العربي، وتعد سلاحاً ذا حدين، ففي الوقت الذي ينبغي فيه تشجيع الشباب على المشاركة في مجال تكنولوجيا المعلومات بمختلف فروعه، يجب علينا ألا ننسى أنه يجب الانتباه إلى ميل الشباب نحو استخدام اللغة الانكليزية على حساب اللغة العربية^[9].

لذا فإن الوسيلة الوحيدة للسيطرة على الضجوة العلمية والتقنية بين الغرب وبيننا، هي اللجوء إلى حركة واسعة من الترجمة والتعريب، يكون أساسها وضع المصطلحات العلمية والتقنية المقابلة، لتلك التي تغرقنا بها العولمة، وهذا يفترض معرفة عميقة ودقيقة بلغات العلم ذات الصلة العالمية^[10].

ولابد من جهد مصطلحي متكامل، يحيط بكل دقائق العلوم المختلفة، في لغاتها الأصلية، من أجل الوصول إلى تنظيم لغوي، ومصطلحي، ينتهي إلى تأكيد التزاوج بين اللغة والفكر عموماً، وهذا التزاوج هو الذي يسمح بإخراج العبارة العلمية في المستوى الفني، الذي يرفع كل شكل من أشكال اللبس والإغماض، بالاستناد إلى تسلسل منطقي ينير الطريق إلى الفهم والاستيعاب.

وهو عمل دؤوب يرفع من شأن لغتنا، ويفتح لنا أبواب الاستفادة من الحضارة، ثم المشاركة في بناء مستقبلها. فالحضارة واقع ملموس في الحياة المدنية وفي الفكر، والثقافة، والممارسة، والسلوك، وهي تعتمد اللغة حاملاً، وناقلاً لجميع محتوياتها.

ونحن اليوم نجد أنفسنا في مواجهة كم كبير من المعلومات المتفجرة، تنثرها قنوات الاتصال المتشابكة، فتنتظم في علوم جديدة، تتفرع عنها تخصصات جديدة، تنفرد بحيز أصغر فأصغر في كل علم، كالفيزياء، والكيمياء، والطب، وغيرها. هذا إلى جانب علوم مبتكرة، حديثة بامتياز، كعلم التحكم، cybernetique وعلوم المعلوماتية، وعلوم الفضاء.

وهي علوم تتطلب مستويات عالية من المعرفة اللغوية، للوصول إلى فهم مقوماتها في لغاتها، قبل النظر في إنتاج المصطلحات التي يتطلبها نقلها إلى العربية. وسلاحنا لغة عريقة، عظيمة، تحمل تراثنا الفكري، وتجربتنا الحضارية، وتعكس حقيقة مجتمعنا^[11].

وهنا نتساءل: ماذا تقدم تكنولوجيا المعلومات لرفع من مكانة اللغة العربية؟

أكد رئيس لجنة التعليم بغرفة البرمجيات باتحاد الصناعات المصرية، أن استخدام المفردات التكنولوجية الحديثة في إطار العربية، يعتبر دلالة على قوة هذه اللغة، وليس ضعفاً، ودعا إلى تعزيز السوق في مجال النشر، سواء الإلكتروني، أو الكتب المطبوعة، حتى لا يكون هذا معوقاً، وحتى يصبح السوق مشجعاً على الاستثمار^[12].

اللغة والمدا التكنولوجي:

لقد شهدنا في السنوات الأخيرة طفرات استثنائية، في قدرة التكنولوجيا الحديثة على جعل المعلومات تتدفق بسرعة هائلة، حيث القنوات الفضائية، وشبكة الأنترنت العالمية، التي جعلت الوصول للمعلومات، والمعرفة سريعاً، فهذا العصر هو عصر الإعلام، والاتصال، والحاسوب، و(الأنترنت)، والفضائيات، وجيل الشباب هو الأكثر تفاعلاً مع هذه الأدوات.

هذا التحول الذي فرضه تطور التكنولوجيا عالية التقنية، قد أثر في النظرة للمستقبل، وهو ما يجب أن يؤثر أيضاً في تعاطي القادة، وأهل العلم، والفكر مع جيل الشباب، حيث يجب أخذ المتغيرات الجديدة، في بلورة رؤية جديدة، إذ لا يمكن التعامل مع جيل الشباب، إلا بأدوات الحاضر، وبثقافة حيّة، وفاعلة، نحو أفق جديد، لذلك لابد من إيجاد آفاق جديدة، واستراتيجية جديدة، قائمة على موازنة الثوابت، والمتغيرات، واستشراف آفاق المستقبل، وفتح الفرص أمام الشباب للعمل، والعطاء، والفاعلية.

ونحن في مجتمعاتنا العربية بحاجة إلى تغيير، وتطوير، وتجديد، أهمها ما يرتبط بقضايا التربية والتعليم، فلا بد أن تنتمي إلى عصر المعلومات والاتصال، وأن تناسب سوق العمل، لذلك لابد من تأسيس قنوات فضائية، ملتزمة، وموجهة للشباب، واستراتيجية جديدة قائمة على المتغيرات، وفهم سيكولوجية الشباب، والعمل بسرعة نحو استثمار طاقاتهم وإمكاناتهم، وتوسيع دورهم في صناعة المستقبل^[13].

ولابد من الاعتماد على معطيات التقانة الحديثة، لنرتب عملاً جماعياً، تتضافر الجهود فيه، من أجل الإسراع للحاق بالحركة العلمية العالمية.

والخطوة الأولى في هذا المسار هي التأكيد على إنجاز الذخيرة اللغوية، بوساطة برنامج حاسوبي، يوبّ بما يوافق المجالات العلمية، للاستفادة من مصطلحات، كان قد وضعها العلماء الأوائل، وتكون جاهزة لسد احتياجات التعريب الحديث، بعد تطويرها أو القياس عليها. ثم حصر مجموع المصطلحات المتداولة حالياً بين العلوم المختلفة في برنامج حاسوبي، بحيث يتم إنشاء شبكة حاسوبية، تربط بين العاملين في كل فرع من فروع العلم الحديث.

والغرض منها ترتيب قاعدة معلومات للمصطلحات العلمية المعتمدة، والمقترحة في كل تخصص. وهذا يسمح بالاطلاع على ما تم الاتفاق عليه، والاستفادة كذلك من الاسترجاع الفوري المباشر online لإنجاز البحوث.

ومن الضروري أن ترتبط تلك الشبكات الوطنية بشبكات عالمية، تغذيها بالجديد في كل علم من العلوم، كي تبقى مسايرة للتطور العلمي في العالم. وينهاية الأمر لابد من عرض ما اتفقت عليه الشبكات الوطنية، في مجال المصطلحات، على مراكز القرار في الجامع اللغوية، ليُصار إلى ترجمة، وتعريب نصوص العلوم الحديثة.^[14]

وخلاصة القول: أينما يكن مسلكك في دنيا المعرفة، فابحث عن اللغة: قمة العلوم الإنسانية ورفيقة العلوم الطبيعية، وركيزة الفلسفة عبر القرون، ورابطة عقد الفنون، ومحور تكنولوجيا المعلومات، وهندسة معرفتها ولغات برمجتها. لذلك نحن في أمس الحاجة إلى نظرة أشمل إلى اللغة العربية، وعلاقتها بفروع المعرفة المختلفة،

وانطلاقاً من هنا لابد أن نؤكد، بشكل واضح لا لبس فيه إلى تداخل اللغة العربية بميادين المعرفة المختلفة من جهة وتفرداها بخصوصيات تميّزها عن باقي اللغات، ونذكر هنا مثالين:

المثال الأول: العلاقة بين نظام الصرف العربي وتراثه الاشتقاقي، الذي لا تدانيه لغة أخرى من لغات العالم، وبين علم البيولوجيا الجزئية القائمة على لغة الجينات وعلم نفس الذكاء، فيما يخصّ التناظر بين توليد المشتقات صرفياً والتوليد البيولوجي، وتوليد المفاهيم.

المثال الثاني: العلاقة بين فنون الخط العربي، وبين الفنون التشكيلية، وهندسة الديكور، والمعمار يتطلب توثيق علاقة اللغة العربية بصروح المعرفة المختلفة، وإعداد فريق من الباحثين من ذوي القدرة على عبور حواجز التخصصات النوعية وتعدّدها.

وحتى نضمن فاعلية الجدل العلمي بين هؤلاء الباحثين ذوي التخصصات المختلفة، يجب إعطاؤهم خلفية عامة مشتركة نقترح بشأنها الموضوعات الرئيسة الآتية:

- التوجهات العامة للسانيات الحديثة.
 - فقه اللغة العربية وخصائصها.
 - تراثنا اللغوي من منظور علم اللغة الحديث.
 - فلسفة اللغة.
 - هندسة النظم.
 - تكنولوجيا المعلومات من منظور لغوي.
- إذن فقد ارتقت اللغة من كونها تابعاً علمياً، وفرعاً معرفياً متخصصاً، إلى أن أصبحت نهجاً علمياً عاماً، يمكن تطبيقه على العديد من الفروع المعرفية.
- من هنا نرى بأنه لابد من اختيار أنسب النهج اللغوية، والنماذج الحاسوبية بحثاً متعمقاً يضاهي بين إمكانات هذه النهج والنماذج، وبين خصائص منظومة اللغة العربية الشاملة، وكذلك منظوماتها الفرعية، ويقصد بها منظومات الصوتيات، والصرف، والنحو، والدلالة والمعجم، وبات الأمر في حاجة إلى اختيار أنسب النماذج اللغوية لتلبية مطالب اللغة العربية: تنظيراً وتعليماً ومعالجة آلية.^[15]

الإحالات:

1. خليفة، عبد الكريم (عالمية اللغة العربية ومكانتها بين لغات العالم) (مجمع اللغة العربية- دمشق- 2003- ص (5- 6- 8- 12- 20- 21).
2. خاطر، محمود شكري (طرق تدريس اللغة العربية والتربية الدينية في ضوء الاتجاهات التربوية الحديثة) دار المعرفة/ القاهرة 1981- الفصل 12- ص (307-308).
3. معروف، نايف (خصائص اللغة) - ص (32- 33).

4. خاطر، محمود شكري (طرق تدريس اللغة العربية والتربية الدينية في ضوء الاتجاهات التربوية الحديثة) - الفصل الثالث - ص(37).
5. خليفة، عبد الكريم (عالمية اللغة العربية ومكانتها بين لغات العالم) (مجمع اللغة العربية - دمشق - 2003 - ص. (20-21) .
6. السيد، محمود (سوء أساليب تعليم اللغة العربية). ص(12).
- ❖ الشابكة: مصطلح اعتمده مجمعاللغة العربية بدل كلمة (الأنترنيت) في مؤتمر اللغة العربية وعصر المعلوماتية الذي عقد في 20 - 22/11/2006م.
7. السيد، محمود (اللغة مركز الدراسات الإنسانية) - مؤتمر مجمع اللغة العربي بدمشق 2006 - ص(5).
8. قمق، بريهان (اللغة العربية عبر الأنترنيت) - التجديد العربي. ص(9) www.arabrenewal.com.
9. اللغة العربية عبر الأنترنيت - (منتدى الشباب العربي الأول لتكنولوجيا المعلومات - 2006 - ص(1) www.arabrenewal.com).
10. المحاسني، مروان (اللغة العربية ومواكبة العلوم الحديثة) مؤتمر اللغة العربية وعصر المعلوماتية بدمشق 2006 - ص (4). (المصدر الأساسي (الدريس، فرحات / بلاغة الخطاب العلمي العربي) - ص (161) - تونس.
11. المرجع السابق - ص (17).
12. اللغة العربية عبر الأنترنيت) - منتدى الشباب العربي الأول لتكنولوجيا المعلومات - 2005 - ص(1) www.arabrenewal.com).
13. نعمان، عبد الغني (الشباب والتكنولوجيا) - التجديد العربي - ص (1 - 2).
14. المحاسني، مروان (اللغة العربية ومواكبة العلوم الحديثة) / مؤتمر اللغة العربية وعصر المعلوماتية/دمشق/ 2006 / ص(16 - 17).
15. علي، نبيل (ثقافة اللغة) منظور عربي معلوماتي - القاهرة/مصر - 1988 - ص (13 - 14 - 38).